

جُرَّ كَيْفَ شِئْتَ فَلَسْتُ أَوْلَّ عَاشِقٍ كَأْسُ الْخُبَّةِ فِي مَحَبَّتِهِ سَقَى

إنه شرب من الكأس التى شرب منها ذو النون المصرى وغير ذى النون، فلم يعد فى حال صحو، بل أصبح فى حال سكر ونشوة، سكرٌ بالحُب الإلهى ونشوة بهذا العشق للذات الكلية، وهو العشق غير الحدود الذى يندفع فيه المتصوفة نحو ربهم كما يندفع الفراش نحو النار يريد أن يصلها، وفى كل مكان من شعر ابن الكيزانى نجد هذا التعلق وهذا الهيام بالمحجوب:

هَنِيئًا لَعِينٌ مَلَّتْ مِنْكَ مَنْظَرًا وَسُقِيًّا لِأُذُنٍ مُنْتَعَتٍ مِنْكَ مَسْمَعًا

ولكن أنسى للعين والسمع أن يهنأ ويسعدا بذلك النعيم الأكبر، نعيم المشاهدة والنظر إلى المحجوب؟ إنَّ دون ذلك لُجْجًا من الحب طامية وآفاقا غير متناهية، وكل جئة أو أفق يصعبه بجهد النفس، ثم ينظر فلا يجد إلا الصدى، إنه اللذات المطلقة، وهو يقف على حافة هذا الوجود فتسأل له، فينبهر وتعلوه الحيرة، ويمسح عينه الغارقة فى الدموع فإذا حبيبه قد ولى، وإذا الحلم قد طار من عينه:

قَفْ فَاسْتَلِمِ أَثَرَ الْمَطَى تَعْلَلًا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ لِحْوَهْنٌ لِحَاقُ

وهل يستطيع أن يلحق بحبيبه؟ إنه لا يستطيع إلا أن يستلم أثر المطى وإلا أن يبكى الديار ويقف على الرسوم والأطلال، وله فى ذلك أشعار رائعة من مثل قوله:

بَرِيكُمَا عَرَّجَا سَاعَةً	ننوحُ على الطللِ النَّارِسِ
فَفَيْضُ الدَّمُوعِ عَلَى رَسْمِهِ	يُزْجِمُ عَنْ حُرْقِ الْبَائِسِ
وَعَهْدِي بَغْزَلَانِهِ رَتَّعًا	لدى ملعبِ بالدُمى آنسِ
ولى فيهمُ شادِنٌ أهَيْفٌ	يفوقُ على الغُصْنِ المائسِ

وقوله: